﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧﴾ [إبراهيم: 17]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الآية الكريمة استكمال لما ذُكر من العذاب الأليم المُعدّ للكافرين في النّار في الآية السّابقة؛ لأنّها صفةٌ له أو حالٌ منه، أو استئنافٌ بيانيٌّ فالعلاقة وثيقة.

تصوير مشهد من مشاهد العذاب في النّار يوم القيامة

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾: جَذر الكلمة هو (جرع)؛ جرعَ الماءَ يجرَعه جرعًا، والجُرعة الْواحِدَة، والْجمع: جُرَعٌ[1]. والجُرْعَة: قدْر ما يتجرّع، بقدر جُرعة من النَّفَس[2]. وجَرِعْتُ الماءَ أَجْرَعُهُ جَرْعًا، واجترعته، وكلّ شيءٍ يبلعه الحلق فهو اجتراع. وإذا جَرَعه بِمَرّة قيل: اجترعه. والاجتراع بالماء كالابتلاع بالطّعام[3]، وتجرَّعه إذا تكلّف جرعه[4]، والتَّجَرُّع: تتابعُ الجرعِ مَرَّة بعد مَرَّة[5]. وفي الآية: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾؛ تصوير لطلب شُربه، لكنّه لا يستسيغه ولا يطيق شربه إلّا بدفعات متوالية.

2) ﴿يُسِيغُهُۥ﴾: جِذرُ الكلمة هو (سوغ)؛ ساغَ الشّراب في الحلق: سهُل انحدارُه في الحلق[6]، وأساغَهُ كذا، قال: ﴿سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦﴾ [النّحل: 66]، ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾، وفلان سوّغ أخيه: إذا ولد إثره عاجلًا تشبيهًا بذلك[7]؛ ساغَ الشَّراب سهُل مدخلُه في الحلق.

(1) الرّاغب، المفردات، وابن دُريد، جمهرة اللّغة، وابن سِيده، المُحكم: (جرع).
(2) الرّاغب، المفردات: (جرع).
(3) الخليل، العين: (جرع).
(4) الرّاغب، المفردات، والزّمخشريّ، أساس البلاغة: (جرع).
(5) الخليل، العين: (جرع).
(6) الرّاغب، المفردات، والرّازيّ، الصّحاح: (سوغ).
(7) الرّاغب، المفردات: (سوغ).

3) ﴿غَلِيظٌ﴾: جذر الكلمة (غلظ)؛ والغِلْظَةُ ضدّ الرّقّة، وأصله أن يُستعمل في الأجسام؛ لكنّ قد يُستعار للمعاني كالكبير والكثير، قال تعالى: ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التّوبة: 123]؛ أيْ: خشونة. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان: 24]، وقال: ﴿مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾ [هود: 58]، وقوله: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التّوبة: 73][1]، واسْتَغْلَظَ: تهيّأ لذلك، وقد يُقال إذا غَلُظَ. واستَغْلَظَ النَّباتُ والشَّجَرُ. قال: ﴿فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: 29][2]. وأغْلَظْتُ الثَّوبَ: وجَدْتُه غَليظًا، واستَغْلَظْتُه: تركتُ شراءه لغِلَظِه. وغَلَّظْتُ عليه، وأغْلَظْتُ له في المنطق. وأمر غَليظٌ[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مشهد من مشاهد القيامة لحال المشركين وعذابهم

في قوله ﷻ: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ تَصويرٌ لِما سَيؤولُ إليه حالُ المُعانِدِ الجبّار من الّذين جابهوا الرُّسُل وهدّدوهُم وآذَوهم، فبيّنت الآية صورةً واحدة من صور عذابهم يوم القيامة وهم يتجرّعون الماء الّذي ليس كالماء؛ بل صديدٌ خارج من أجساد المُعذّبين، فأنّى يقدرون على سوغه وشربه، فهم يتجرّعونه فيشربونه على دفعات، فيكون الموت محيطًا بهم من كلّ جانبٍ، لكنّه لا يأخذهم فيستريحوا، ولا يُخفّف عنهم من العذاب؛ بل ينتظرهم عذابٌ غليظ عظيم والعياذ بالله.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

موقع قوله: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ ممّا قبله ودلالته:

يكون سُقيا الكافر من ماء لا يكاد يسيغه في جميع أحواله

قوله جلّ ثناؤه: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾، إمّا أن يكون صفةً

(1) الرّاغب، المفردات: (غلظ).
(2) الخليل، العين، والرّاغب، المفردات: (غلظ).
(3) الخليل، العين: (غلظ).

لماء، وإمّا أن يكون حالًا من نائب الفاعل (يُسقَى)، والأظهر أنَّه استئنافٌ بيانيّ مبنيٌّ على السّؤالِ؛ كأنَّه قيلَ فماذا يفعلُ به؟ فقيل: يَتَجَرَّعُهُ؛ أيْ: يتكلَّفُ جَرْعه مرّةً بعد أخرى لغلبة العطشِ واستيلاء الحرارة عليه، ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾؛ أيْ: لا يقارب أن يسيغه، ناهيك عن الإساغة؛ بل يغَصّ به فيشربُه جرعةً بعد جرعةً فيطول عذابُه[1].

دلالة التّعبير بـ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾:

يشرب الكافر جُرعةً بعد جُرعةٍ في عذاب دائم

قوله ﷻ: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾، يصور كيفية شرب الكافر للماء الصّديد، وتجرَّع: (تَفعَّل)، فيكون للتّكلف؛ أيْ: يتكلَّف جرعهُ، أو أنَّه دالٌّ على المُهلة، نحو تفهَّمتهُ؛ أيْ: يتناوله شيئًا فشيئًا بالجرع كما يفهم شيئًا فشيئًا بالتّفهيم، أو أنّه بمعنى (جرع) المجرّد، والمعنى: يتحسّاه ويشربه لا بمرّة واحدة[2]. ودلالة المُضارع فيها على الاستمرار والتّجدّد لعدم ارتواء الكافر بشربه فهو يحتاج إلى هذا التّجرّع في كلّ وقت ولا ينتهي منه.

معنى ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾:

بيان حالات العذاب الّتي تحيط بالكافر وهو يتجرّع الماء

أورد الفخر الرّازيّ في تفسيره معنيَيْن لقوله ﴿يَكَادُ﴾[3]: الأوّل: (يكاد) نفيه إثبات، وإثباته نفي، فقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾؛ أيْ: ويسيغه بعد إبطاء، والدَّليل على حصول الإساغة قوله تعالى: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝٢٠﴾ [الحجّ: 20]، ولا يحصل الصَّهر إلّا بعد الإساغة، وأيضًا فإنّ قوله: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ يدلّ على أنّهم أساغوا الشّيْء بعد الشّيْء. والثّاني: يمكن أن يفهم معنًى آخر باعتبار أنّ (كاد) للمقاربة؛ فيكون: ﴿وَلَا يَكَادُ﴾ لنفي المقاربة؛ يعني: ولم يقارب أن يسيغه؛ بمعنى: لا تحصل الإساغة، ومثلها قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكَدْ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/37.
(2) ابن عادل، تفسير اللّباب: 1/3106.
(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 19/80.

يَرَىٰهَاۚ﴾ [النّور: 40]؛ أيْ: لم يقرب من رؤيتها فلا يراها، فيكون المعنى: ولا يسيغ جميعه؛ كأنَّه يجرع البعض وما ساغ الجميع. فمع وصول بعض ذلك الشَّراب إلى جوف الكافر، إلّا أنَّ ذلك ليس بإساغة، لأنَّ الإساغة في اللّغة إجراء الشّراب في الحلق بقبول النّفس واستطابة المشروب، والكافر يتجرّع ذلك الشَّراب على كراهية ولا يُسيغه؛ أيْ: لا يستطيبه ولا يشربه شربًا بمرّة واحدة، وعلى هذيْن الوجهيْن يصحّ حمل ﴿وَلَا يَكَادُ﴾ على نفي المقاربة.

معنى الواو في قوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾:

في قوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾، واو الحال، هي الواو الدّاخلة على جملة اسميّة أو فعليّة تكون في موضع الحال، فجملة ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ في موضع الحال من فاعل ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾، أو من مفعوله، أو منهما جميعًا[1]. وفائدتها هُنا بيان حال الكافر وهو يشرب من الماء الصّديد، وما في ذلك من الكراهة والاختناق وتعسُّر البلع، وإرجاعه بعد شربه، وقُلْ ما شئت من حال صعوبة استساغة هذا الماء القَذر الكَريه.

وصف حال الكافر وهو يتجرّع الصّديد

دلالة التّعبير بـ ﴿يُسِيغُهُۥ﴾:

السّواغ هو انحدارُ الشّراب في الحَلق بسهولَةٍ وقَبولِ نفسٍ، ونفيُه لا يوجب نفيَ ما ذَكَرَ جَميعًا، وقيل: لا يكاد يدخُله في جوفه، وعبّر عنه بالإساغة لأنّها المعهودةُ في الأشربة، وهو حالٌ من فاعلِ يتجرّعه، أو من مفعوله، أو منهما جميعًا[2]. و﴿يُسِيغُهُۥ﴾ مضارع يفيد التّجدّد، فدلّ على المحاولات المُتجدّدة الّتي يبذلها المُعذَّب بُغية تقبّله وإساغته.

المعذَّبُ مكرَهٌ على ما يقبل ولا يسوغ جزاء عناده وتجبّره

معنى الواو في: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ﴾ عاطفة للجمع، فقد

تنوّعُ حالات العذاب على الكافر واجتماعها قهرٌ لكبريائه

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/192.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/37.

جُمعت على الكافر أصنافُ العذابِ، وأتته من كلّ مكان، وأحاطت به مجتمعة عليه. كما أفادت تنوّع العذاب على الكافر، فالموت الّذي يأتيه من كلّ مكان لا يكون بسبب ما يتجرّعه من الصّديد، وإنّما من أسباب أخرى من العذاب.

بلاغة التّتميم في: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾:

بيانُ سوء حال الكافر وهو يتجرّع الصّديد

التّتميم في الآية أنواعٌ ثلاثة: تتميمُ النّقص، وتَتْميمُ الاحتياط، وتتميمُ المبالغة، فقد قال: يتجرَّعه، ولو قال: يجرعه، لما أفاد المعنى الّذي أراده؛ لأنّ جرع الماء لا يُشير إلى معنى الكراهية، ولكنّه عندما أتى بالتّاء على صيغة التّفعُّل أفهم أنّه يتكلّف شربه تكلّفًا، وأنّه يعاني من جرّاء شربه ما لا يأتي الوصف عليه من تقزُّزٍ وكراهيّة، ثمّ احتاط للأمر؛ لأنّه قد يوهم بأنّه تكلّف شربه، ثم هان عليه الأمر بعد ذلك، فأتى بالكيدودة؛ أيْ إنّه تكلّف شربه وهو لا يكاد يشربه، ولو اكتفى بالكيدودة لصلح المعنى دون مبالغة، ولكن عندما جاءت ﴿يُسِيغُهُۥ﴾ أفهم أنّه لا يسيغه؛ بل يغصُّ به فيشربه بعد المحاولات والدّفع النّفسيّ، جرعةً بعد جرعة، فيطول عذابه تارةً بالحرارة ومرّةً بالعطش[1].

نكتة الكناية في ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾:

الشدَّةُ المحيطة بالمعذَّب زيادة في تعذيبه وقهره

في قوله: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾؛ كأنّ أسبابَ الموت وأصنافَه كلَّها قد تألَّبَت عليه، وأحاطت به من جميع جهاته، تفظيعًا لما يُصيبه من الآلام؛ الّتي هي آلام الموت، وفي العبارة ما فيها من التّشخيص، فجعل الموت كرجلٍ مطارِدٍ له يطلب قتله، فيعيش المُعذّب في فَزَعٍ دائم من أهوال الموت وعذابه، لكنّه ليس بميّت، وفي قوله: ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾؛ أي: من جسده كلّه، حتّى من إبهام رِجْلِه[2].

(1) القِنّوجيّ، فتح البيان: 7/98.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/513.

فجعل الموت شاخصًا أمامه ومن ورائه مُحيطًا به، يتجرّع آلامه دون أن يموت.

نكتة الاستعارة: ﴿وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ﴾:

موجباتُ الموت متحقّقةٌ فيه من كلّ جهاته

يظهر المجاز اللّغويّ في قوله تعالى ﴿وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ﴾؛ أيْ: أسبابه من الشّدائد وأنواع العذاب، فالكلام على المجاز المرسل[1]، ويمكن أن يكون استعارةً مَكنيّة، فالموت كإنسان يطلبُ قتلَ المُعذَّب من الكفَرة المارقين، فحذف الإنسان وهو المُشبّه به، وذكر شيئًا من لوازمه وهو الإتيان، وصرّح بالمُشبّه، فالموت لا يأتي، فأسند الإتيان إلى الموت على طريقة الاسْتعارة المكنيّة وهي تبعيّة؛ لأنّها وقعت في مشتقّ. والمعنى: أنّ موجبات الموت أحاطت به من جميع الجهات، ومع ذلك فإنّه لا يموت[2]. فتأتيه أسباب الموت من الشَّدائد وأنواع العذاب[3].

دلالة (اللّام) في: ﴿ٱلۡمَوۡتُ﴾:

عـذابٌ عظيم بتحقُّق موجبات المـوت دون أن يموت

الموتُ معرّفٌ هُنا بـ(اللّام) العهديّة لبيان عظيم شأنه، فالموت يأخذ الأرواح، يفْصلها عن أجسادها، فلا يبقى للجسد إحساسٌ بشيءٍ، لكنّه هُنا يكون إتيانُ الموت من كلّ مكانٍ، وفي كلِّ لحظة، لكنّه لا يموت أحدٌ منهم، ولا يُخفّف عن أحدهم شيءٌ: ﴿وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ﴾[4].

دلالة ﴿مِن﴾:

كـلُّ مكـان من جسد الكافر هو مبتدأ للموت

في قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ جاءت ﴿مِن﴾ لابتداء الغاية، فيكون كلّ مكانٍ من حوله هو مبتدأ الموت إليه، ويكون هو منتهى الغاية؛ بمعنى أنّه كان من المُفترض أن يصيبه الموت حتمًا، إصابات لا حصرَ لها، فلا محالة أنّه ميّت، لكنْ يستدرك السّياق بقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ﴾.

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 13/140.
(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 19/80.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/192.
(4) ابن عادل، تفسير اللّباب: 1/3107.

الغرض البلاغي لتنكير ﴿مَكَانٍ﴾:

أهوال الموت تأتي من الأمكنة حول جسده كلّه

تنكيرُ المكان لفائدة العموم، فالمعنى المُراد من ذلك أنّ الموت يحيط به من جميع الجهات، من كلّ مكان من جسده، وإطلاق المكان على الأعضاء مجاز، وهذا الإتيان في الآخرة، والحال أنّه ليس بميّت حقيقة كما هو الظّاهر من مجيء أسبابه على أتمّ وجه، فيستريح ممّا غشيَه من أصناف الموبقات[1].

معنى الواو في قوله ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍۖ﴾:

حـالُ الكـافـر بالله ورسالاته الـخـلـودُ في الـعـذاب فلا يموت

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍۖ﴾؛ (الواو) فيه حاليّة، وحال الكافر الموصوف في الآية أنّه لن يموت مع تحقُّق أسباب الموت من كلّ جانب، فيبقى خالدًا على هذا الحال فلا موت في الآخرة، على الرّغم من أنّ الموت قد أحاط به من كلّ مكان وجانب، وأسبابه قائمة، ومظاهره على أشدّها، إلّا أنّه لا يموت أبدًا.

نكتة تقديم النّفي ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍۖ﴾:

يـخـلـد أهـل الـنـار فيها فلا يخرجون مهما استغاثوا من عذابها

فائدة تقديم النّفي بـ ﴿وَمَا﴾ على المُسنَد إليه ﴿هُوَ﴾ والمُسنَد الفعليّ ﴿بِمَيِّتٍۖ﴾ يُفيد التّخصيص، كما هو مُقرَّرٌ في علم المعاني، على معنى أنّ غيره يموت، أمّا هو فلا، وفي هذا ما فيه من العذاب المعنويّ، والقهر النّفسيّ بتخصيصه بهذا النّوع من العذاب.

فائدة التّعبير بالجملة الاسميّة ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍۖ﴾:

دَيْمومةُ هذه الحالة من العذاب للكافر حِقَبًا طويلة

تُفيد الجملةُ الاسْميّةُ دلالة الثّبوت؛ إذ يبقى هذا المُعذّب على هذا النَّحوِ حِقَبًا ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍۖ﴾؛ فتكون حياتُه حياةَ مَن يُنازع الموت، دون أن يموت، ودون أن يخفّف عنه بشيء.

معنى الباء في قوله ﴿بِمَيِّتٍۖ﴾:

في قوله: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍۖ﴾، جاءت

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/192.

لا يموت الكافر في النّار وإن طلبَ الموت ليستريح

(الباء) ﴿بِمَيِّتٍ﴾ لتوكيد النّفي، فهو لن يموت أبدًا مهما بلغ به العذاب، وأحاط به الموت وعاش أسبابَه، وذاقَ أشدّ العذاب، ويكون الموت حينذاك مطلبًا عزيزًا لكنّه لا يُدركُه أبدًا. و(الباء) للإلصاق عمومًا، فقد أفادت (الباء) إلصاقَ الموت به وبجسده، وما هو بميّت، تهويلًا لما يلاقيه من العذاب.

معنى الواو في قوله ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾:

اجتماعُ أصناف العذاب الشّديد مع دَيْمومتِه

في قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ (الواو) عاطفة، وهي للجمع، وأفادت وصل جملة: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ بجملة: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾؛ وذلك لإفادة حيثيّات العذاب وتنوّعه في الوقت ذاته؛ إذ تجتمع كلّها على الكافر، وفي الصّورة ما فيها من التّرهيب من عذاب الله وغضبه.

عَوْدُ الضّمير في: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾:

العذابُ الغليظ المصير الطبيعيّ المُعدّ لكلّ جبّار عنيد

قوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾، في الضَّمير وجهان: أظهرُهُما: أنّه عائد على ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾ ليناسب جبروتَه في الدّنيا، والثّاني: أنَّه عائدٌ على العذاب المُتقدِّم؛ أيْ: من ورائه جهنّم، ومن ورائه عذاب غليظ، فيكون من وراء هذا العذاب عذابٌ آخر؛ وُصِفَ بالغليظ، لتميّزه عن سابقه، فكأنّه أشدُّ وأقوى منه، فأفاد تعداد أنواع العذاب وتنوّع أشكاله وصوره[1].

معنى (من) في قوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾:

أشد المباغتة تكون من الخلف لغفلة صاحبها عنها

في قوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾: (من) للابتداء؛ وفائدتها تحقيق معنى أنّ أشدّ العذاب مُبتدئٌ من ورائه ومتّجهٌ نحوه، والوراء يكون الإنسان عادةً في غفلة عنه، وهذا سبب تخصيص جهة الوراء بعد أن بيّن أنّ الموت يأتيه من كلِّ مكان.

(1) ابن عادل، تفسير اللّباب: 1/3107.

غرض تقديم شبه الجملة ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾:

الاهتمام بالوراء كونه جهة غفلة المقصود

في تقديم شبه الجملة ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ اهتمامٌ بهذه الجهة، باعتبارها جهة غفلة المقصود بهذا الوصف؛ وهم الّذين جحدوا بما جاءتهم به الرّسل من الرّسالة، فقدّم ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ ليُعلم أنّه قد أُحيط به من كلّ مكانٍ وأكّد بإتيانه من الوراء، لأنَّها جهة الهروب فيُفجأ بعذابٍ غليظ.

نكتة تكرار ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾:

الاهتمام بجهة الوراء لتواريها عن الأنظار

في تكرار شبه الجملة ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ للاهتمام بهذه الجهة لما فيها من الخفاء عن النّظر، وما تحتمله من غفلة الإنسان عنها، فيأتيه العذاب من حيث هو غافلٌ عن جهته، وما في ذلك من المبالغة في شدّة العذاب وقوّة مباغتته.

الغرض من تنكير ﴿عَذَابٌ﴾:

تعدُّد أصناف العذاب الغليظ المُعدّ للكافرين

تنكيرُ ﴿عَذَابٌ﴾ أفاد تهويل ما يقع عليهم من عذاب الله باعتبار أنّه موصوفٌ بالعذاب الغليظ؛ فلمّا نكَّرَهُ أفاد تعدّد أنواعه، وأخفى ما ينتظر الكافر من ذلك العذاب المُهين، ويمكن أن يفيد التّنكير التّنويع على أنّه عذاب ليس كأيّ عذاب.

نكتة التّعبير بالاستعارة ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾:

العذابُ الغليظُ هو الشّديد أو المستمرُّ بلا انقطاع

يقصد بالعذاب الغليظ في قوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾: الخلود في النّار، أو أنَّهُ في كلّ وقت يستقبله يتلقّى عذابًا أشدّ ممّا قبله[1]. وفي الجملة استعارة؛ فقد ورد في تفسير قوله عزّ من قائلٍ: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أنّ المُراد أنّه العذاب الدّائم غير المنقطع[2]. وهو العذاب الشّديد، أو الموثوق الّذي لا يمكن للمُعذَّب أن يُفلت منه، فوجه الشّبه أنّ الشّديد كقوّة الحبل الغليظ الشّديد

(1) ابن عادل، تفسير اللّباب: 1/3107.

(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 19/80.

الوَثاق، فلا ينفكّ عنه المُقيّد لموثوقيّته، فيكون ﴿غَلِيظٌ﴾ استعارةً تصريحيّةً أصليّة.

الكناية في قوله: ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾:

الغِلَظةُ تقتضي دَيمومة العذاب وخلودَهم فيه

في قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ يمكن أن تكون الجملة كنايةً عن الإحاطة والشّدّة، فوصف العذاب بالغلظة، كناية عن قوّته واتّصاله، ثمَّ إنّه قد أحاط بالمُعذّب؛ لأنّ الغلظة تستوجب القوّةَ وتستدعي أن يكون متّصلًا، تتّصل به الأزمنة كلّها فلا انفصالَ بينها[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

البلْع والتّجرّع:

في التّجرّعُ شدَّةٌ وتـألُّـمٌ، وفي البـلْـع سلاسـةٌ واستمرارٌ

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾؛ أيْ: يتكلّف تجرُّعَه لقهره عليه ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ ولخُبثه[2]. والجَرْعَةُ قدْر ما يتجرّع، وهو المقدار المُحدّد من السّائل أو الماء، ونوقٌ مجاريع إذا لم يبقَ في ضروعها من اللّبن إلّا جُرَعٌ[3]، وفيها الدّلالة على القلّة، فقوله: يتجرّعه ولا يكاد يُسيغه، أيْ: مع قلّته فإنّه غير سائغ في حَلْقه، ويُقاسي العذاب في جَرْعه.

أمّا البلعُ ففيه إساغة، وليس فيه تكلّف، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ [هود: 44]؛ إذ يدلّ البلع على الكثرة في ابْتلاع السّائل أو الماء، ويدلّ كذلك على الاستمرار دون التّقطّع كما في حالة التّجرّع؛ فإنّه يبلعه متقطّعًا غير مستساغٍ.

الغليظ والشّديد والأليم والعظيم:

عذاب غليظ يدلّ على استمراره أو تنوّعه أو شدّته

الغليظ: الغِلْظَةُ ضدّ الرّقّة، واستُعيرَ هنا للدّلالة على العذاب الشّديد أو المستمرّ الّذي لا ينقطع، قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٠﴾ [فُصّلت: 50]، وقوله: ﴿جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ

(1) الرّازيّ، الجدول في إعراب القرآن: 13/173.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 525.
(3) الرّاغب، المفردات: (جرع).

عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التّوبة: 73][1]، واستَغْلَظَ النَّباتُ والشَّجَرُ. قال: ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: 29][2]. وأغْلَظْتُ الثَّوبَ: وجَدْتُه غَليظًا، واستَغْلَظْتُه: تركتُ شراءه لغِلَظِه. وغَلَّظْتُ عليه، وأغْلَظْتُ له في المنطق. وأمرٌ غَليظٌ[3].

العذابُ الشّديد الّـذي يـدلّ أثـره عـلى الإنـسـان وعلى الجسد

وأمّا الشَّديد: الشّدّ: العقد القويّ، والشّدّة تستعمل في العقد، وفي البدن، وفي قوى النّفس، وفي العذاب، ومن الأخير قوله: ﴿فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ٢٦﴾ [ق: 26]، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: 15]؛ ففيه تنبيه على أنّ الإنسان إذا بلغ هذا القدْرَ يتقوّى خَلْقه الّذي هو عليه، فلا يكاد يُزايله بعد ذلك[4].

العـذاب الأليم يـدلّ عـلى أثـره في الجلد والألم الّـذي هـو أحد آثار العذاب

والأليم: الألم: الوجع الشّديد، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ﴾ [النّساء: 104]، وقد آلمتُ فلانًا، وعذابٌ أليمٌ؛ أيْ: مُؤلِم[5]. والأليم أقلّ من الشّديد، والعذاب الأليم: عذابٌ حِسّيٌّ شديدٌ موجِع، ولعلّ أكثر ما يكون في آلام الجلد واحتراقه.

العذاب العظيم الّـذي يـدلّ على قـوّتـه وهيبة ما فيه من الأهوال

والعظيم: وعَظُمَ الشّيء أصله: كَبُرَ عظمُه، ثمّ استُعيرَ لكلّ كبير، فأُجريَ مجراه محسوسًا كان أو معقولًا، عينًا كان أو معنًى. قال: ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٣﴾ [الزّمر: 13]. ويُقال: جيشٌ عظيم، ومالٌ عظيم، وذلك في معنى الكثير، والعظيمة: النّازلة[6].

المَيْت والميّت:

الميْتُ مَنْ فارقتْ روحُه جسدَه

يُطلق (الميِّتُ) على مَنْ مات، وعلى الحيّ الّذي لم يمُت بعد، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠﴾ [الزّمر: 30]، وبالتّخفيف (مَيْت)

(1) الرّاغب، المفردات: (غلظ).
(2) الخليل، العين، والرّاغب، المفردات: (غلظ).
(3) الخليل، العين: (غلظ).
(4) الرّاغب، المفردات: (شد).
(5) الرّاغب، المفردات: (ألم).
(6) الرّاغب، المفردات: (عظم).

لا يُطلق إلّا على مَن مات، وفارقت روحُه جسدَه[1]، ولعلّنا من جمال الضّبط بالشّكل وانسجامه مع معاني الكلمات أنّ (الميِّت) تكون ياؤه مشدّدةً مكسورة، فتشير إلى الحركة والشّدة والتزام الحياة والإقبال عليها. أمّا الميْت: فتدلّ على الّذي خرجت روحُه، فينسجم سكون جسده مع سكون الياء هنا، ومن جميل ما قيل في التّفريق بينهما:

وَتَسْأَلُني تَفْسيرَ مَيْتٍ وَمَيِّتٍ *** فَدونَكَ ذا التّفسيرُ إنْ كنتَ تَعْقِلُ

فَمَنْ كانَ ذا روحٍ فَذلِكَ مَيِّتٌ *** وَما المَيْتُ إلّا مَنْ إلى القَبْرِ يُحْمَلُ

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/308.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 24 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-21-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 24 : المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-21-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1718375 بتاريخ 2024/02/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»